

الباب الرابع  
غرائب وعجائب المنقول

## ١ - فصل

### ومن غرائب المنقول وعجائبه:

[١٥٣] عن الأمير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهنندار المعروف بمهنندار العرب أنه قال : حكى الأمير محمد شجاع الدين الشيرازى متولى القاهرة فى أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة ، قال : بتنا عند رجل بالصعيد فأكرمنا ، وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير ، فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الأشكال .

فقلنا له : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم ، ثم قال : كأنكم أنكرتم علىّ بياضهم وسوادى ؟ قلنا : نعم ، فقال : هؤلاء كانت أمهم إفرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب ، فقلنا : وكيف أخذتها ؟ قال : حديثى فيها عجيب وأمرى غريب ، فقلنا : أتحننا به ، فقال : زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته ، فصرفت عليه خمسمائة دينار ، ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك فحملته للقاهرة ، فلم يصل أكثر من ذلك فأشير على بحمله إلى الشام فحملته ، فلم يزد على تلك القيمة شيئاً فوصلت به إلى عكا ، فبعت بعضه لأجل والبعض تركته ، واكرت حانوتا لأبيع على مهل إلى أن تنقضى المدة ، فبينما أنا أبيع إذ مرت بى امرأة إفرنجية ونساء الإفرنج يمشون فى الأسواق بلا نقاب ، فأتت تشتري منى كتانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ، ثم انصرفت وأتت إلىّ بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى فتكررت إلىّ وعلمت أنى أحبها .

فقلت للعجوز التى كانت معها : إننى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة ، فقالت لها العجوز ذلك ، فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت

ر هو فأعادت على الجواب ، فقلت لها : أما أنا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين ديناراً فوزنتها وسلمتها للعجوز، فقالت : نحن الليلة عندك قال : فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب ، وشمع وحلوى فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا ، وجن الليل ولم يبق غير النوم ، فقلت فى نفسى : أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية ؛ اللهم إنى أشهدك أنى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك ، ثم نمت إلى الصبح .

فقامت من السحر وهى غضبانة ، ومضت ومضيت إلى حانوتى فجلست فيه فإذا هى قد عبرت علىّ هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت فى نفسى : ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ، ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع لك إلا بمائة دينار ، فقلت : نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار .

فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة الأولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ، ثم مضت ومضيت إلى موضعى ثم عبرت على بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بى عندك إلا بخمسمائة دينار أو تموت كمداً ، فارتعت لذلك وعزمت على أنى أصرف ثمن الكتان جميعه . فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى : معاشر المسلمين إن الهدنة التى كانت بيننا وبينكم قد انقضت ، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة فانقطعت عنى ، وأخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الإفرنجية ما فيه .

فوصلت إلى دمشق وبعث البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومنّ الله عليّ بكسب وافر وأخذت أتجر في الجوارى لعل يذهب ما بقلبي من الإفرنجية ، فمضيت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر<sup>(١)</sup> ما جرى من وقعة حطين<sup>(٢)</sup> ، وأخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل بإذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فأحضرت له جارية حسناء فاشتراها منى بمائة دينار فأوصلوا لى تسعين ديناراً وبقيت العشرة دنائير عنده ، فلم يجدوها فى خزانة الملك فى ذلك اليوم لأنه أنفق جميع الأموال .

فلما حضرت الغنيمة جاءوا للملك فشاوروه على ذلك ، فقال : امضوا به إلى الخيمة التى فيها السبى من نساء الإفرنج فخبروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنائير التى بقيت له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتى ، فقلت : أعطونى هذه الجارية فأخذتها ومضيت إلى خيمتى وخلوت بها ، وقلت لها : أتعرفينى ؟ قالت : لا ، فقلت لها : أنا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى وأخذت منى الذهب وقلت ما عدت ترانى عندك إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشر دنائير، فقالت:مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فأسلمت وحسن إسلامها .

---

(١) الملك الناصر هو : صلاح الدين الأيوبي ، يوسف بن أيوب : القائد العظيم قاهر الصليبيين ، ومجدد مجد المسلمين . من أصل كردى ، اختاره العاضد للوزارة وقيادة الجيش ، ولقبه بالملك الصالح ، وقد انتصر على الصليبيين فى موقعة حطين الشهيرة ، ت[٥٨٩هـ = ١١٩٣م] . انظر : وفيات الأعيان(١٣٩/٧) ، الكامل لابن أنير (٣٧/١٢) .

(٢) حطين : قرية فى فلسطين غربى بحيرة طبرية . انتصر صلاح الدين على الصليبيين فيها سنة [٥٨٣هـ = ١١٨٧م] واستعاد للمسلمين بيت المقدس .

فقلت : والله لا وصلت إليها إلا بأمر القاضى . فتوجهت إلى ابن شداد<sup>(١)</sup> وحكيت له ما جرى ، فتعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى . ثم رحل العسكر وأتىنا دمشق فبعد مدة يسيرة أرسل الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق إلا التى عندى فطلبت منى فحضرت وقد تغير لوني فأحضرتها بين يدى الملك الناصر والرسول فقلت : هذه أسلمت وصارت امرأتى .

فقال الملك الناصر بحضرة الرسول : أترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك فقد فككنا أسرك وأسرك غيرك ؟ فقالت : يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحملت وها بطنى كما ترونه وليس لى رغبة فى الرجوع إلى بلادى وما رغبتى إلا فى الإسلام وزوجى ، فقال لها الرسول : أيما أحب إليك هذا المسلم أو زوجك الإفرنجى ؟ فأعادت عبارتها الأولى ، فقال الرسول : لمن معه من الإفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول : خذ زوجتك وتوجه فوليت بها فطلبنى ثانيا وقال : إن أمها أرسلت معى كسوة ، وقالت أن ابنتى أسيرة وأشتهى أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ، ومضيت إلى الدار ففتحت القماش فإذا هو قماشها بعينه قد صيرته لها أمها ووجدت من داخله الصرتين الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هى بربطى لم يتغيرا ، وهؤلاء الأولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام ، والله أعلم .

---

(١) يوسف بهاء الدين ، ابن شداد : القاضى ، المؤرخ . قاضى صلاح الدين وأرخ له فى كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية"

[١٥٤] ويحكى : أن بعض الملوك أرسل رجلا من بطانته إلى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه بأخبار الرعية . فلما وصل الرجل فطن له العامل فأرسل إليه بمال وتحف ثم قال : عرفت ما جئت له ، وأنا أرغب إليك فى كتاب تكتبه إلى الملك تذكر فيه أنى حسن السيرة وسالك طريق العدل ، فإن أنت فعلت ذلك فلك منى ما تشتهى رغبتك إليه من الخير والعطاء ، وإن أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا إلى من أمرك فى المأى ما يوجب قتلك إما حدا وإما سياسة ، فاقنك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس ، فتذهب كأمس الماضى .

فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا إلى الملك : " أما بعد ؛ أعز الله الملك وأكرمه فإنى قدمت إلى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم ، قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته وأرضى بعضهم ، بعضا وجعل طاعته عليهم فرضا ، وأنزلهم منه منزلة الأولاد وأذهب ما بينهم من الأحقاد ، وأراحهم من السعى فى الدنيا ، وفرغهم للعمل فى الآخر أغنى القاصد وأرضى الوارد ، فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر إلى وجهه الكريم والسلام " .

فلما وصل الكتاب منه إلى الملك فكر فيه وقال لوزيره : إن فلانا لم يكن عندى بمتهم ، فإن كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فإنى قد غزله ، فقال الوزير : أصلح الله الملك وكيف ذلك ؟ قال : لأن قوله : " آخذا بالحزم عاملا بالعزم " ؛ أى أنه خائف منى لما اعتمده فى الولاية . وأما قوله : " ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته " ؛

فمعناه أنه لم يخصص أحدا بظلمه بل الجميع سواء . وقوله : "وأرضى بعضهم بعضاً" ؛ أى ذهبت أحقادهم لأن الشدائد تذهب الأحقاد . وقوله : "أنزلهم منه منزلة الأولاد" معناه ؛ أخذ أموالهم ورأى أنها له أخذاً من قوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك»<sup>(١)</sup> . وقوله : "وأراحهم من السعى فى الدنيا" معناه أنه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون . وقوله : "فرغهم للعمل فى الأخرى" معناه ؛ أنهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم . وقوله : "أغنى القاصد وأرضى الوارد" ؛ فإنه يعنى نفسه أى أنه أعطاه ما لا يكتب إلى بذلك . وأما قوله : "فجميع أهل عمله داعون لنا" معناه ؛ أن يصبرنا الله بأمرهم ونطلع على ما هم فيه . وقوله : "يودون النظر لوجهنا" ؛ أى يشكون إلينا ما لقوه منه ويستغيثون بنا . ثم إن الملك طلب العامل وأحضره إلى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على فعله ، والله أعلم .

---

(١) الحديث : صححه الألبانى فى الجامع الصحيح برقم (١٤٨٦) .

## ٢- فصل

### القصيدۃ الزينية

[١٥٥] وهذه القصيدة الزينية :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب  
نشرت ذوائبها التي تزهر بها  
واستغفرت لما رأتك وطالما  
وكذاك وصل الغانيات فإنه  
فدع الصبا فلقد عداك زمانه  
ذهب الشباب فما له من عودة  
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا  
واذكر مناقشة الحساب فإنه  
لم ينس الملكان حين نسيت  
والروح فيك وديعة أودعتها  
وغرور دنياك التي تسعى لها  
والليل فاعلتم والنهار كلاهما  
وجميع ما خلفته وجمعته

والدهر فيه تصرم وتقلب<sup>(١)</sup>  
سودا ورأسك كالثغامة أشيب<sup>(٢)</sup>  
كانت تحن إلى لقاءك وترغب  
آل يلقعة وبرق خلّب<sup>(٣)</sup>  
وازهد فعمرك مر منه الأطيب  
وأتى المشيب فأين منه المهرب  
واذكر ذنوبك وابكها يا مذب  
لا بد يحصى ما جنيت ويكتب  
بل أثبتاه وأنت لاه تلعب  
ستردها بالرغم منك وتسلب  
دار حقيقتها متاع يذهب  
أنفاسنا فيها تعد وتحسب  
حقا يقينا بعد موتك ينهب

(١) صرمت حبالك : قطعت ودك .

(٢) الذؤابة : ضفيرة الشعر . أنعم الرأس : أي ابيض تشبها بالثغام ، وهو شجر أبيض الزهر . أشيب : المبيض الرأس .

(٣) البلقع : الأرض القفر ، والمرأة البلقة : العالية من كل خير . برق خلّب : برق ليس وراءه مطر ، يعني ليس وراءها خير .

تبا لدارٍ لا يدوم نعيمها  
فاسمع هديت نصيحة أولاكها  
صحب الزمان وأهله مستبصرا  
لا تأمن الدهر الخون فإنه  
وعواقب الأيام فى لذاتها  
فعليك تقوى الله فالزمها تفز  
واعمل بطاعته تنل منه الرضا  
واقنع ففى بعض القناعة راحة  
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة  
وتوق من غدر النساء خيانة  
لا تأمن الأتشى حياتك إنها  
لا تأمن الأتشى زمانك كله  
تغرى بلىن حديثها وكلامها  
وابداً عدوك بالتحية ولتكن  
واحذر إن لاقيته متبسما  
إن العدو وإن تقادم عهده  
وإذا الصديق رأيت متلقا  
لا خير فى ود امرئ متعلق  
يلقاك يحلف أنه بك واثق

ومشيدها عما قليل يخرب  
بر نصوح للأنام محرب  
ورأى الأمور بما توب وتعقب  
ما زال قدما للرجال يؤدب  
غصص يذل لها الأعز الأنجب  
إن النقى هو البهى الأريب  
إن المطيع له لديه مقرب  
والأس عما فات فهو المطلب  
فلقد كسى ثوب المذلة أشعب<sup>(١)</sup>  
فجميعهن مكاييد لك تنصب  
كالأفعوان يراع منه الأنيب  
يوما ولو حلفت يمينا تكذب  
وإذا سطت فى الصقيل الأشطب<sup>(٢)</sup>  
منه زمانك خائفا تترقب  
فالليث يبدو نابه إذ يفضب  
فالحقد باق فى الصدور مغيب  
فهو العدو وحقه يتجنب<sup>(٣)</sup>  
حلو اللسان وقلبه يتلهب  
وإذا توارى عنك فهو العقرب

(١) أشعب : رجل من المدينة ، ضرب به المثل فى الطمع .

(٢) الصقيل الأشطب : السيف الحاد القاطع .

(٣) تعلق الرجل للرجل : تودد إليه وتذلل له وأبدى له بلسانه من الإكرام والبود ما ليس فى قلبه .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة  
وصل الكرام وإن جفوك بهفوة  
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا  
إن الغنى من الرجال مكرم  
ويش بالترحيب عند قدومه  
والفقر شين للرجال فإنه  
واخفض جناحك للأقارب كلهم  
وذر الكذوب فلا يكن لك صاحباً  
وزن الكلام إذ نطقت ولا تكن  
واحفظ لسانك واحترز من لفظه  
والسر فأكمه ولا تنطق به  
وكذاك سر المرء إن لم يطره  
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد  
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً  
كم عاجز فى الناس يأتى رزقه  
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب  
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها  
وإذا رميت من الزمان بريئة  
فاضرع لربك إنه أدنى لمن  
كن ما استطعت عن الأنام بمعزل

(١) شَعَبَ الشيء : جمعه .

(٢) الكيس : العاقل الفطن .

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه  
واحذر من المظلوم سهما صائبا  
وإذا رأيت الرزق عز ببلدة  
فارحل فأرض الله واسعة الفضيا  
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي  
انتهى من حياة الحيوان<sup>(١)</sup> .

### [١٥٦] وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس<sup>(٢)</sup> :

المرء يجمع والزمان يفرق  
ولأن يعادى عاقلا خيرا له  
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقا  
وزن الكلام إذا نطقت فإنما  
ومن الرجال إذا استوت أحلامهم  
حتى يحيل بكل واد قلبه  
لا ألقينك ثاويًا في غربة  
ويظل يرقع والخطوب تمزق<sup>(٣)</sup>  
من أن يكون له صديق أحق  
إن الصديق على الصديق مصدق<sup>(٤)</sup>  
يبدى عقول ذوى العقول المنطق  
من يستشأر إذا استشير فيطرق  
فيرى ويعرف ما يقول وينطق  
إن الغريب بكل منهم يرشق<sup>(٥)</sup>

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الهمزة (٥٠/١) .

(٢) انظر : العقد الفريد (٤٣٦/٢) . وصالح بن عبد القدوس : صاحب الفلسفة قتله

المهدى على الزندقة . كان يعظ ويقص بالبصرة ، وحديثه يسير ، وليس بالثقة .

انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (٤٩/١) ، تاريخ بغداد (٣٠٣/٩) .

(٣) الخطوب : الحوادث الكبيرة .

(٤) اربأ بنفسك : أى احفظها واعلم بها .

(٥) الثاوى : الإقامة فى المكان .

ما الناس إلا عاملان فعامل  
والناس فى طلب المعاش وإنما  
لو يرزقون الناس حسب عقولهم  
لكنه فضل المليك عليهم  
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا  
سكت الذى تبع العروس مبهتا  
وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة  
بقى الذين إذا يقولوا يكذبوا

قد مات من عطش وآخر يفرق  
بالجد يرزق منهم من يرزق  
ألفيت أكثر من ترى يتصدق  
هذا عليه موسع ومضيق  
ورأيت دمع نوائح يترقق  
ورأيت من تبع الجنازة ينطق  
تركه حين يجر جبل يفرق  
ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

[١٥٧] وذكر ابن الجوزى فى الأذكياء<sup>(١)</sup> وغيره : أن عمران بن  
حطان كان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى  
لعنهما الله تعالى على قتل الإمام على بن أبى طالب عليه السلام وكرم وجهه :

يا ضربة من تقى ما أراد بها  
إنى لأذكره يوماً فأحسبه  
أكرم يقوم بطون الأرض أقبرهم  
إلا ليلغ من ذى العرش رضوانا  
أوفى البرية عند الله ميزانا  
لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى أبا الطيب الطبرى<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى هذه الأبيات ،  
فقال محبها له :

إنى لأبرأ مما أنت قائله  
إنى لأذكره يوماً فالعنسه  
عليك ثم عليه الدهر متصلا  
عن ابن ملجم الملعون بهتاناً  
دينا وألعن عمران بن حطانا  
لعائن الله إسراراً وإعلانا

(١) انظر : كتاب الأذكياء ص ٢٤٦ .

(٢) طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أهر الطيب الطبرى : قاضى ، من أعيان الشافعية من  
مصنفاته "شرح مختصر المزنى" ت [٤٥٠هـ - ١٠٥٨م] انظر : طبقات الشافعية:  
(١٧٦/٣) .

فأنتمو من كلاب النار جاء لنا نص الشريعة برهاننا وتبياننا  
أشار أبو الطيب رحمه الله تعالى إلى قوله ﷺ «الخوارج كلاب  
الناس»<sup>(١)</sup> انتهى من حياة الحيوان<sup>(٢)</sup> .

[١٥٨] ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « جاءوا  
برجل إلى النبي ﷺ فشهدوا عليه أنه سرق جملا لهم فأمر به النبي ﷺ أن  
يقطع فولى الرجل وهو يقول : اللهم صلى على محمد حتى لا يبقى من  
صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على  
محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء ، فتكلم الجمل وقال : يا محمد إنه  
بريء من سرقتي ، فقال النبي ﷺ من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من  
أهل بدر فجاءوا به إلى النبي ﷺ فقال : يا هذا ما قلت آنفا ؟ فأخبره بما  
قال فقال النبي ﷺ لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى  
كادوا يحولون بيني وبينك ، ثم قال النبي ﷺ لَتَرِدَنَّ عَلَى الصراط  
ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر» انتهى .

[١٥٩] وهذه القصيدة يقال إنها لأمر المؤمنين الراضى بالله<sup>(٣)</sup>

زيادة المرء فى دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران  
وكل وجدان حظ لايات له فإن معناه فى التحقيق فقدان

(١) الحديث : رواه ابن ماجه ، المقدمة (١٢) ، صحيح الجامع رقم (٣٣٤٧) .

(٢) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (٥٧/١) .

(٣) الراضى : الخليفة العباسى ، محمد بن جعفر بن المعتضد بالله أحمد ت[٣٢٩هـ] .

والقصيدة بتمامها فى كتاب حياة الحيوان الكبيرى للدميرى ، حرف التاء (٢٥٠/١) .

يا عامرا الخراب الدهر مجتهدا  
 ويا حريصا على الأموال يجمعها  
 راع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها  
 وأوع سمعك أمثالا أفصلها  
 أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم  
 وكن على الدهر معوانا لذى أمل  
 من جاد بالمال مال الناس قاطبة  
 من كان للخير مناعا فليس له  
 لا تخدشن بمطل وجه عارفة  
 يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته  
 أقبل على النفس واستكمل فضائلها  
 من يتق الله يحمده في عواقبه  
 حسب الفتى عقله خلا يعاشره  
 لا تستشر غير شخص حازم فطن  
 فللتدابير فرسان إذا ركضوا  
 وللأمور مواقيت مقدرة  
 من رافق الرفق في كل الحوادث لم  
 ولا تكن عجلا في الأمر تطلبه  
 وذو القناعة راض في معيشته  
 كفى من العيش ما قد سد من رمق  
 هما رضيعا لبان حكمة وتقى

بالله هل لخراب الدهر عمران  
 أنسيت أن سرور المال أحزان  
 فصفوها كدور الوصل هجران  
 كما يفصل ياقوت ومرجان  
 فطالما استعبد الإنسان إحسان  
 يرجو نذاك فإن الحر معوان  
 وإليه والمال للإنسان فتان  
 عند الخليقة أخدان وإخوان<sup>(١)</sup>  
 فالبر يخدشه مطل وليان  
 أتطلب الربح مما فيه خسران  
 فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان  
 ويكفه شر من عزوا ومن هانوا  
 إذا تحاماه إخوان وخلان  
 قد استوت منه إسرار وإعلان  
 فيها أبروا كما للحرب فرسان  
 وكل أمر له حد وميزان  
 يندب عليه ولم يذمه إنسان  
 فليس يحمده قبل النضج بحران  
 وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان  
 ففيه للحر إن حققت غيان  
 وساكننا وطن مال وطغيان

(١) أخدان : الأحاب والأصحاب .

من مد طرفا بفوط الجهل نحو هوى  
 من استشار صروف الدهر قام له  
 من عاشر الناس لاقى منهمو نصبا  
 ومن يفتش على الإخوان مجتهدا  
 من يزرع الشر يحصد فى عواقبه  
 من استنام إلى الأشرار نام وفى  
 من سالم الناس يسلم من غوائلهم  
 من كان للعقل سلطان عليه غدا  
 وإن ساء مسيء فليكن لك فى  
 إذا نبا بكريم موطن فله  
 لاتحسبن سرورا دائما أبدا  
 يا ضالما فرحا بالعز ساعده  
 يا أيها العالم المرضى سيرته  
 ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لحج  
 دع التكاسل فى الخيرات تطلبها  
 صن حر وجهك لاتهتك غلاته  
 لاتحسب الناس طبعاً واحدا فلهم  
 ما كل ماء كصدا لوارده  
 من استعان بغير الله فى طلب  
 أغضى من الحق يوما وهو خزيان  
 على حقيقة طبع الدهر برهان  
 لأن طبعهم بغى وعدوان  
 فحل إخوان هذا الدهر خوان  
 ندامة ولحصد الزرع إبان  
 قميصه منهمو صل وثعبان<sup>(١)</sup>  
 وعاش وهو قرير العين جذلان<sup>(٢)</sup>  
 وما على نفسه للحرص سلطان  
 عروض زلته صفح وغفران  
 وراءه فى بسيط الأرض أوطان  
 من سره زمن ساءته أزمان  
 إن كنت فى سنة فالدهر يقضان  
 أبشر فأت بغير الماء ريان  
 فأت ما بينها لا شك ظمان<sup>(٣)</sup>  
 فليس يسعد بالخيرات كسلان  
 فكل حر لحر الوجه صوان  
 غرائز لست تحصيها وألوان  
 نعم ولا كل نبت فهو سعدان  
 فإن ناصره عجز وخذلان

(١) الصيل : نوع خبيث من الحيات .

(٢) غوائل الناس : شرهم ، وجذلان : فرحان سرور .

(٣) اللعة : ماء كثير .

واشدد يديك بحبل الله معتصما  
لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضا  
سحبان من غير مال بأقل حصر  
والناس إخوان من والته دولته  
يا رافلا فى الشباب الرحب متشيا  
لاتغترر بشباب ناعم خضل  
وياأخا الشيب لو ناصحت نفسك لم  
هب الشيبية تبدى عذر صاحبها  
كل الذنوب فإن الله يغفرها  
وكل كسر فإن الله يجبره  
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة  
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه  
خذها سرائر أمثال مهذبة  
ما ضر حسانها والطبع سائفها  
فإنه الركن إن خاتك أركان  
وان أظلكه أوراق وأفنان<sup>(١)</sup>  
وبأقل فى ثراء المال سحبان  
وهم عليه إذا عادته أعوان<sup>(٢)</sup>  
فكم تقدم قبل الشيب شبان<sup>(٣)</sup>  
يكن لمثلك فى الإسراف إمعان  
ما بال شيبك يستهويه شيطان  
إن شيع المرء إخلاص وإيمان  
وما لكسر قناة الدين جيران  
فلا يدوم على الإنسان إمكان  
والحر بالعدل والإحسان يزدان<sup>(٤)</sup>  
فيها لمن يتغى التبيان تبيان  
إن لم يصغها قريع الشعر حسان

[١٦٠] وذيل عليها بعضهم فقال :

وكن لسنة خير الخلق متبعا  
فهو الذى شملت للخلق أنعمه  
فإنها لنجاة العبد عنوان  
وعمهم منه فى الدارين إحسان

(١) الفتن : الغصن المستقيم من الشجر ، وجمعها أفنان .

(٢) المنتشى : الذى بدأ سكره .

(٣) خضل : ندى ذو نضارة .

(٤) الأنوار : الزهر الأبيض ، وفاغمه : ذات روائح طيبة .

جبينه قمر قد زانه خفر  
والبدر يخجل من أنوار طلعتيه  
ومذ أتى أبصرت عمى القلوب به  
به توسلنا فى محور زلتنا  
يا رب صل عليه ما همى مطر  
وابعث إليه سلام زاكيا عطرا  
وثغره درر غر ومرجان<sup>(١)</sup>  
والشمس من حسنه الوضاح تزدان  
سبل الهدى ووعت للحق آذان  
لربنا إنه ذو الجود منان  
فأبنت منه أوراق وأغصان  
والآل والصحب لا تفنيه أزمان

[١٦١] وعن حماد الراوية قال : كنت محبا للوليد بن عبد الملك .  
فلما ولى أخوه يزيد الخلافة هربت إلى الكوفة ، فبينما أنا فى المسجد  
الأعظم إذا أتانى رسول محمد بن يوسف الثقفى ، وقال : أجب الأمير  
فدخلت عليه فقال : ورد كتاب أمير المؤمنين على بحملك إليه وبالباب  
نجيبان فاركب أحدهما ودفع إلى كيسا فيه ألف دينار ، وقال : هذه نفقة  
لمنزلك فدخلت دمشق فى اليوم الثامن ، واستأذن لى الرسول .

فدخلت عليه فاذا هو جالس فى دار مبلطة بالرخام الأحمر وفيها  
سرادق خز أحمر فى وسط قبة حمراء من خز وفرشها وكل مافيها أحمر  
وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حر بيد واحدة منهما إبريق وفى إحدى  
يدى الأخرى نبيذ أحمر وفى اليد الأخرى نبيذ أبيض . فلما واجهته سلمت  
عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد أتدرى فيم بعثت إليك ؟  
قلت : لا يا أمير المؤمنين قال : فى بيت شعر ذهب عنى أوله ، قلت : من  
أى عروض أوقافية ؟ قال : لا أدري إلا أنه بيت فيه إبريق .

(١) الخفير : شدة الحياء ، وذا غر : ذا حسن .

فقلت فى نفسى : إن لم تغن الرواية يوما فالآن ؛ ففكرت ساعة ثم قلت : نعم يا أمير المؤمنين لعله قول تبع اليمانى أو عدى بن زيد العبادى :

|                      |                              |
|----------------------|------------------------------|
| يقولون لى أما تستفيق | بكر العاذلون فى وضح الصبح    |
| والقلب عنكم مرهوق    | ويلومون فيك يا ابن عبيد الله |
| أعدو يلومنى أو صديق  | لست أدرى إذا كثر العذل فيها  |
| قينة فى يمينها إبريق | ودعوا بالصبح يوما فجاءت      |

فصاح يزيد وقال : هو والله الشعر بعينه ، وشرب وقال : يا جارية اسقيه فسقتنى كأسا أذهبت ثلث عقلى ، ثم استعاد الشعر وشرب وقال : اسقيه فسقتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى ، فقال : سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الآخر ؟ فقلت : إحدى هاتين الجاريتين فقال: هما لك بمالهما وما عليهما ومائة ألف تحسن بها سيرك ، ثم ناولتنى الجارية كأسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى إلى دار الضيافة ، فانتبهت آخر الليل وإذا بشمع يوقد والجارتان يرصان الأمتعة والبغال تحمل مالهما من أثاث وغيره ، وأصبحت وقبضت المال وانصرفت وأنا أيسر أهل الكوفة ، انتهى .

[١٦٢] و[قيل] : لما وقف الشيخ تقي الدين بن حجة<sup>(١)</sup> - رحمه الله - على هذه الحكاية قال : انظر أيها المتأدب إلى نفاق سوق الأدب فى ذلك الأرب ، وبشهادة الله إن البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق إلى دمشق وأجيز عليه بالجارتين والمائة ألف تأنف نفسى أن أنظمه فى سلك قصيدة من قصائدى وهو هذا البيت :

---

(١) تقي الدين بن حجة : صاحب كتاب ثمرات الأوراق . نقلت ترجمته .

ودعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق  
وكنْتُ أريد أن أكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من  
نظمى فى هذا الباب قولى :

فى ليلة رقم البدر المنير لها طارا له بعضى الحوزاء نقرات  
وبان لى من لَمَها حين تبسم لى فوق اللثا واللمى در وعقيات<sup>(١)</sup>  
والراح دبّت على فهمى فصورها مسكاً يضروع له فى الكأس نفحات  
كانت علامات تحقيقى فقال فمى هى المنازل لى فيها علامات  
منذ أنشأتنا سجعنا فى محاسنها مفردين وللإنشاء سجعات  
هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت لما حبتها ثغور لؤلؤيات  
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت فللحباب على التسكين جزمات

[١٦٣] وألطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال :  
كان أبو عثمان المازنى<sup>(٢)</sup> جاء إليه يهودى وسأله أن يقرئه كتاب سيبويه<sup>(٣)</sup>  
وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقلت له : سبحان الله ترد  
مائة دينار مع فافتك وحاجتك إلى درهم واحد فقال : نعم ياأبا العباس اعلم  
أن كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولا أرى أن أمكن  
منها كافراً فسكت ولم يتكلم .

(١) اللمى : سمرّة فى باطن الشفة تستحسن .

(٢) المازنى ، أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب : من أئمة العربية ، تعلم عليه المبرد .  
من تأليفه "التصريف" ت[٢٤٨هـ-٨٦٣م] .

(٣) سيبويه ، هو : أبو بشر عمرو بن عثمان ؛ من أئمة علم النحو ، تعلم على الخليل بن  
أحمد . إمام مذهب البصريين ، وكتابه فى النحو هو "الكتاب" ، ت[١٧٩هـ-٧٩٦م] .

قال المبرد : فما مضت إلا أيام حتى جلس الوراق يوماً للشرب  
وحضر ندماؤه فغنت جارية فى المجلس هذا الشعر :

أظلم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلاً ، فلحنها<sup>(١)</sup> بعض الحاضرين من الندماء ، وقال :  
الصواب الرفع لأنه خبر إن ، فقالت الجارية : ما حفظته من معلمى إلا  
هكذا ؛ ثم وقع النزاع بين الجماعة فمن قائل الصواب معه ومن قائل  
الصواب معها .

فقال الوراق : من بالعراق من أهل العربية ممن يرجع إليه ؟ فقالوا :  
بالبصرة أبو عثمان المازنى وهو اليوم واحد عصره فى هذا العلم . فقال  
الوراق : اكتبوا إلى والينا بالبصرة يسيره إلينا معظماً مبجلاً فما كان إلا أيام  
حتى وصل الكتاب إلى البصرة فأمر الوالى أبا عثمان بالتوجه وسيره على  
بغال البريد .

فلما وصل دخل على الوراق فرفع مجلسه وزاد فى إكرامه وعرض  
عليه البيت فقال : الصواب مع الجارية ولا يجوز فى رجل غير النصب ؛  
لأن مصاب مصدر بمعنى الإصابة ورجلاً منصوباً به ؛ والمعنى إن إصابتكم  
رجلاً أهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر إن ولا يتم الكلام إلا به ؛ ففهم  
الوراق كلام أبى عثمان وعلم أن الحق ما قالته وأعجب به وانقطع الرجل  
الذى أنكر على الجارية ، ثم أمر الوراق لأبى عثمان المازنى بألف دينار ،  
وأتحفه بتحف وهدايا كثيرة لأهله ، ووهبت له الجارية جملة أخرى ، ثم  
سيره إلى بلده مكرماً .

---

(١) لحنها : خطأها .

فلما وصل جاء المبرد ، فقال له أبو عثمان : كيف رأيت يا أبا العباس  
تركت لله مائة فعوضني ألفاً . فقال المبرد : من ترك شيئاً لله عوضه الله  
خيراً منه ، انتهى .

[١٦٤] وعن أنس<sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «سألت الله  
الاسم الأعظم فجاءني جبريل به مختوماً ، وهو "اللهم إني أسألك بالاسم  
المخزون المكنون الطهر الطاهر المطهر المقلس المبارك الحى القيوم"  
قالت عائشة : بأبى وأمى علمنيه فقال : يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء  
والصبيان والسفهاء» انتهى .

#### فائدة

[١٦٥] [وقيل] : كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الصنعى من  
أصحاب الشافعى وكان إماماً صالحاً عالماً من أهل اليمن من أقران صاحب  
البيان من تصنيفه : "احترازا المذهب" ، و"التعريف فى الفقه" روى : أن  
ناساً ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فمثل عن ذلك ؟ فقال : كنت  
أقرأ ﴿ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿فأله خير  
حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ [يس: ٦٤] ﴿له معقبات من بين يديه ومن  
خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد: ١١] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له  
لحافظون﴾ [الحجر: ٩] ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ [الحجر: ١٧]

(١) أنس بن مالك : خدم النبى عشر سنين ، شهد بدرًا ، وله ألف ومثا حديث وستة  
وثمانون حديثاً . وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة [٩٠هـ] . انظر : الإستيعاب  
(١٥١/١) .

﴿وحفظاً من كل شيطان مارد﴾ [الصفات: ٧] ﴿وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [نصلت: ١٢] ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [الطارق: ٤] ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] إلى آخر السورة وينبغي أن يزداد فيها ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ [مرد: ٥٧] ثم قال : كنت خرجت يوماً مع جماعة فرأيت ذئباً يلعب شاة عجفاء<sup>(١)</sup> ولا يضرها بشيء . فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتاباً مربوطاً فيه هذه الآيات المتقدمة ، انتهى .

### فائدة

[١٦٦] قال معاذ بن جبل<sup>(٢)</sup> : «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى ، وتجاوز في صلاته ؛ فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا فقال : أما إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إلا أنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فإذا أنا بربى تعالى فى أحسن صورة فقال : يا محمد فقلت : لبيك يا رب قال : فيم يختصم الملائكة ؟ قلت : ربي لا أدرى ، قال تعالى : فى الكفارات والدرجات - وفى رواية قلت : فى الكفارات والدرجات - قال : فما هن ؟ قلت : مشى الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء على المكروهات . قال : ثم فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ولين الكلام ، والصلاة

(١) عجفاء : ضعيفة هزيلة .

(٢) معاذ بن جبل : صحابى جليل من السابقين ، توفى بطاعون عمواس [١٨هـ - ٦٣٩م] .

بالليل والناس نيام . قال : سل ؟ قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك ، فقال رسول الله ﷺ : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»<sup>(١)</sup> . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، انتهى من حياة الحيوان فى حرف النون .

[١٦٧] وقال : ذكر لرسول الله ﷺ الشرك فقال : «هو أخفى فيكم من ديب النمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صفار الشرك ، وكباره تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم إنك انت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات»<sup>(٢)</sup> . انتهى .

### فائدة

[١٦٨] إذا علقت عين الهدهد على صاحب النسيان ، ذكر ما نسيه ودمه إذا قطر فى البياض فى العين أذهبه .

[١٦٩] وروى أحمد والبخارى وأحمد ثقات من حديث أبى هريرة : «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً ، فقال له : أيسرك أن يشرب معك الهر؟ فقال : لا ، قال فقد شرب معك الشيطان»<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر الجامع الصحيح رقم (٥٩) .

(٢) انظر : الجامع الصحيح رقم (٣٤٣٢) .

(٣) انظر صحيح الجامع رقم (٦٨٨٧) .

[١٧٠] وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة محمد بن عمر الحنبلي :

عن أنس بن مالك قال : كنت جالسا عند عائشة رضي الله عنها أبشرها بالبراءة ، فقالت : والله لقد هجرني القريب والبعيد حتى هجرتنى الهرة وما عرض على طعام ولا شراب ، فكنت أرقد وأنا جائعة فرأيت في منامى فتى فقال : مالك خزينة ؟ فقلت : مما ذكر الناس ، فقال : ادعى بهذه يفرج الله عنك ، فقلت : وما هي ؟ قال : قولي دعاء الفرج "يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارج الغمم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حكم ، ويا حسيب من ظلم ، ويا ولي من ظلم ، ويا أول بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية، ويا من له اسم بلا كنية ؛ اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا" قالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله براءتى وجاءنى الفرج انتهى من حياة الحيوان.

[١٧١] وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه عن

أنس : « أن النبي ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته يقول : يا من لا تراد العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر ، يعلم مشاقيل الجبال ، ومكايل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر إلا ويعلم ما فى قعره ولا جبل إلا يعلم ما فى وعره ؛ اجعل اللهم خير عمري آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك ، فوكل النبي ﷺ بالأعرابي رجلا فقال : إذا صلى فاتننى به . فلما صلى أتاه به وقد أهدى للنبي ﷺ ذهب من بعض المعادن . فلما أتى الأعرابي وهب له

الذهب وقال : ممن أنت أيها الأعرابي ؟ قال : من بنى عامر بن صعصعة . فقال صلى الله عليه وسلم : هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب ؟ قال : للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله : قال صلى الله عليه وسلم : إن للرحم حقا ؛ ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل . انتهى من حرف الطاء<sup>(١)</sup> .

[١٧٢] وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه : أن الملك بهرام جور لم يكن في العجم أرمى منه . ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له طباء ، فقال للجارية : في أي موضع تريد أن أضع هذا السهم من هذه الطباء ؟ قالت : أريد أن تشبه ذكرانها بإنائها وإنائها بذكرانها ، فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين ، فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ، ثم سأله أن يجمع ظلف<sup>(٢)</sup> الظبي وأذنه بنشابة<sup>(٣)</sup> واحدة ، فرمى أصل أذن الظبي ببندقة ؛ فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحك رماده بنشابة فوصل أذنه بظلفة ، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه بها فرمى بها إلى الأرض وأوطأها الحمل بسبب ما اشترطت عليه ، وقال : ما أردت إلا إظهار عجزى . فلم تلبث إلا يسيرا وماتت انتهى<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الطاء (١٣١/٢) .

(٢) ظُلف : بمنزلة الحافر للفرس .

(٣) نُشابة ، مفرد نشايب : السهام .

(٤) انظر حياة الحيوان ، حرف الطاء (١٤٣/٢) .

## حكاية فى القطا<sup>(١)</sup>

[١٧٣] يقال : نزل عمر بن مامة على قوم من مراد فطرقوهم ليلا ؛  
فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة يقال لها : حذام فلما رأت القطا طار  
ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم : ولو ترك القطا ليلا  
لناما . فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال :  
إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام  
فنفر القوم والتحنوا إلى واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا  
وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل ، انتهى بتقديم وتأخير<sup>(٢)</sup> .

[١٧٤] وعن أبى جعفر الخالدى قال : ودعت أبا الحسن الصغير  
المدنى فقلت له : زودنى شيئا فقال : إذا ضاع منك شيء وأردت أن  
يجمع الله بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان فقل : " يا جامع الناس  
ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بينى وبين كذا وكذا " فإن  
الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان . انتهى من حرف الألف .

[١٧٥] وهذه أبيات :

|                     |                                   |
|---------------------|-----------------------------------|
| لصيد اللحم فى البحر | وصيد الأسد فى البر                |
| وقضم الثلج فى القر  | ونقل الصخر فى الحر <sup>(٣)</sup> |

(١) القَطَا ، مفردة قَطَاة : طائر فى حجم الحمامة ، يضرب بها المثل فى الاهتداء ،  
فيقال : أهدى من القطا . قيل : سُميت بذلك لثقل مشيها .

(٢) انظر : العقد الفريد (٨٣/٣) ، حياة الحيوان ، حرف القاف (٣٤٧/٢) .

(٣) القر : شدة البرد .

وإقدام على الموت      وتحويل إلى القبر  
لأشهى من طلاب العر      ف ممن عاش فى الفقر

قوله : للخم بضم اللام وإسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخيم يقال له لكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان فى حرف اللام.

[١٧٦] وذكر بعض أهل التواريخ : أن ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بيباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته إياه . فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له: انظر فى هذا الكتاب حتى أصلح من أمرى ما تحب وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه وإذا فيه الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم ؛ فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاه الكتاب ومر ذاهبا ، وكان زوج المرأة غائبا .

فلما حضر أخبرته الخبر فتحير فى نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيه . فلم يتحاصر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة. فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه إلى الملك . فلما مثل بين يدى الملك قال أقارب المرأة : عز الله مولانا الملك إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ، ثم ألها فلا هو يزرعها ، ولا هو يتركها لتؤجرها لمن هو يزرعها ، وقد حصل الضرر للأرض ونعاف فسادها بسبب التعطيل ، لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت .

فقال الملك لزوج المرأة : ما يمنعك من زرع أرضك ؟ فقال : أعز الله مولانا الملك إنه قد بلغنى أن الأسد قد دخل أرضى وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمى أنه لا طاقة إلى بالأسد ، ففهم الملك القصة فقال : يا هذا إن أرضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها ببارك الله لك فيها ، فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه ، انتهى من حرف الألف (١) .

فائدة

[١٧٧] الفرزدق اسمه همام بن غالب ، والفرزدق لقب غلب عليه ، والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره ، انتهى .

فائدة عظيمة

[١٧٨] قال الأطباء : إذا أردت أن تعرف المرأة عقيم أم لا فمرها أن تتحمل بثومة فى قطنة وتمكث سبع ساعات فإن فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالأدوية ، فإنها تحمل بإذن الله تعالى وإلا فلا وهى محربة والله أعلم .

فائدة

[١٧٩] قال شيخ الإسلام محمى الدين النووى (٢) فى أذكاره فى باب أذكار المسافرين عند إرادته الخروج من بيته : يستحب عند إرادة

---

(١) انظر: حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١٥/١) .

(٢) يحمى بن شرف بن حسن النووى ، أبو زكريا : علامة بالفقه إمام فى الحديث له التصانيف الكثيرة المشهورة [٥٦٧٦] . انظر : طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥) .

الخروج أن يصلى ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر»<sup>(١)</sup> . رواه الطبراني .

[١٨٠] وقال في تمة أخرى : قال الشيخ قطب الدين القسطلاني :  
مما حفظت من والدتي أم محمد آمنة وكانت وفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستمائة "اللهم بتلأؤ نور بهاء حجب عرشك ، مِنْ أعدائي احتجبت ؛ وبسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت ؛ وبطول حول حجب عرشك ، مِنْ أعدائي احتجبت ؛ وبشديد قوتك ، مِنْ كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت ؛ وبمكنون السر من سر سرّك من كل هم وغم تخلصت يا حامل العرش عن حملة العرش يا شديد البطش يا حابس الطير والوحش احبس عني من ظلمي واغلب من غلبي كتب الله لأغلب أنا ورسلي ان الله قوى عزيز" انتهى .

[١٨١] وقال الشيخ قطب الدين : ومما حفظته من دعاء والدي من الأدعية التي تنفع في الحجب عن الأعداء "اللهم بسر الذات وبذات السر ، هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم الله من عدوى وعدو الله بألف ألف لاحول ولا قوة إلا بالله ، ختمت على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربي بخاتم الله القدوس المنيع ، الذي ختم به أقطار السموات والأرض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل" .

---

(١) الحديث : انظر : ضعيف الجامع (٥٠٥٩) .

[١٨٢] وقال الكسائي<sup>(١)</sup> : دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى إيوانه وبين يديه مال كثير قد أمر بتفرقة على خدمه الخاصة ، ويده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثنى ، فقال : هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة ؟ قلت : هو يا سيدى عبد الملك بن مروان ، قال : فما كان السبب فى ذلك ؟ قلت : لا أعلم غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة . قال : سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم ، وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبا وابنا وزوجة وبتا ؛ فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضى على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فينما هو ذات يوم جالس إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره ، وقال : ما أغلظ هذا فى دين الإسلام أن يكون طراز القراطيس هكذا وهى تعمل فى الأوانى والثياب وهما يعملان بمصر ، وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد ، فأمر بالكتابة إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك ، وأن تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله أنه لا إله إلا هو ، وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير ، وكتب إلى عمال الآفاق جميعا بإبطال ما فى أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد .

(١) الكسائي ، أبو الحسن : من علماء القراءات أحد القراء السبع . تعلم على العليل بن

أحمد . أدب الأمين والمأمون ولدى الرشيد . ت [١٨٩هـ] .

وحمل إلى بلاد الروم منها وانشتر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز ، فأنكره وعظم عليه واستشاط غيظا ، فكتب إلى عبد الملك إننى أعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته ، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا فاختر من هاتين الخليتين أيهما شئت وأحببت ، وقد بعثت إليك بهدية تليق بمحلك وأحببت أن ترد طراز تلك القراطيس إلى ما كان عليه ، وجميع ما كان يطرز أولا لأشكرك عليها، وتأمّر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر ؛ فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها إلى صاحبه .

فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال : إننى ظننت أنك استقلت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني إلى كتابي فأضعفت الهدية ، وأنا أرغب إليك مثل ما رغبت فيه أولا من رد الطراز إلى ما كان عليه ، فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم كتابا يقتضى أجوبة . كتبه ويقول : إنك قد استخففت بحوابي وهديتي ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمت أنك استقلت الهدية فأضعفتها فحررت على سبيلك الأول ، وقد أضعفتها لك ثالثا وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدراهم والدنانير ، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش فى بلادى ولم أر الدراهم والدنانير نقشت فى بلاد الإسلام فننقش عليها شتم نبيك ، فإذا قرأته ارفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتى وترد الطراز إلى ما كان عليه أول الأمر ، وكانت هدية بررتنى بها ويقى الأمر بينى وبينك .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاق به الأرض وقال أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام لأنني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى إلى أبد الدهور ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع<sup>(١)</sup> : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه . فقال : ويحك بم ؟ قال : عليك بالباقر<sup>(٢)</sup> من آل بيت النبي ﷺ قال : صدقت ويمكنه يا روح الرأي فيه ؟ قال : نعم فكتب إلى عامله بالمدينة أن أرسل محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلاثمائة درهم لنفقته وأرح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن علي .

فلما وافاه أخبره الخبر فقال : محمد ﷺ لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين إحداهما : أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله ﷺ . والثانية : تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدرهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ إحداهما : في وجه الدرهم والدينار . والأخرى : في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم أو الدينار ذكر البلد

(١) روح بن زنباع بن روح بن سلامة : أمير فلسطين ، وسيد اليمانية في الشام وقائدها .

قيل : له صحبة . كان عبد الملك بن مروان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ، ودعاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز . ت[٨٤هـ] . انظر : الإصابة رقم (٢٧٠٧) .

(٢) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ، الباقر : الإمام الخامس عند الشيعة ، عرف

بالعبادة والورع والعلم ، توفي بالمدينة [١١٤هـ - ٧٣٢م] .

الذى يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة أصناف التى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا أحدا وعشرين مثقالا فيجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنحاة من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل ، وكانت الدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية<sup>(١)</sup> فى الإسلام مكتوب عليها سورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية (نوش خور) أى كل هنيئا وكان وزن الدراهم منها قبل الإسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السامرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمره محمد بن على بن الحسين رضي الله عنه أن يكتب السكة فى جميع بلدان الإسلام وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها ، وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما ، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكة الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم إليه بذلك ويقول : إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد تقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا ويأبطل السكك والطراز الرومية فقبل لملك الروم : افعل ما كنت تهددت به ملك العرب ، فقال إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأننى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الرسوم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا

---

(١) كسروية : نسبة إلى كسرى ملك فارس .

يتعامل به أهل الإسلام ، وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار به محمد بن على بن الحسين عليه السلام إلى اليوم . ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم إلى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان<sup>(١)</sup> .

[١٨٣] وقال نصر الله بن مجلى ، وكان من الثقات وأهل السنة : رأيت على بن أبى طالب عليه السلام فى المنام فقلت : يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين ما تم . فقال : أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا ؟ قلت : لا ، قال : اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت إلى دار حيص يبص فذكرت له الرؤيا، فشقق وبكى وحلف بالله أنها لم تخرج من فيه أو خطه لأحد وما نظمها إلا فى ليلته ثم أنشدنى :

ملكنا فكان العفو منا سجية      فلما ملككم سال بالدم أبطح  
وحللتكمو قتل الأسارى وطالما      غدونا عن الأسرى نفسك ونصفح

واسم حيص يبص سعيد بن محمد أبو الفوارس التميمى الشاعر المعروف ويعرف بابن الصيفى ، ولقب بحيص يبص لأنه رأى الناس يوماً فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال : ما للناس فى حيص يبص . فبقى هذا اللقب عليه

[١٨٤] ومن محاسن شعره :

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا      اقصر عناك فإن الرزق مقسوم  
الرزق يأتى إلى من ليس يطلبه      وطالب الرزق يسعى وهو محروم

---

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١/٩٥) .

[١٨٥] وله أيضا :

يا طالب الطب من داء أصيب به  
هو الطبيب الذى يرجى لعافية  
إن الطبيب الذى أبلاك بالداء  
لا من يذيب لك الترياق فى الماء

[١٨٦] وله أيضا :

أله عما استأثر الله به  
فقضاء الله لا يدفعه  
أيها القلب ودع عنك الحرق  
حول محتال إذا الأمر سبق

[١٨٧] وله أيضا :

أنفق ولا تخش إقلا لا فقد قسمت  
لا ينفع البخل من دنيا مولية  
على العباد من الرحمن أرزاق  
ولا يضر مع الإقبال إنفاق  
ومما جاء فى الذكاء والفهم

[١٨٨] ما حكى : عن المأمون أنه غضب على عبد الله بن طاهر  
وشاور أصحابه فى الإيقاع ، به وكان قد حضره فى ذلك المجلس صديق  
له فكتب إليه كتابا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، يا موسى» فلما فضه  
ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية  
واقفة على رأسه فقالت له : يا سيدى إنى أفهم معنى هذا فقال : وما هو ؟  
قالت : إنه أراد قوله تعالى ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾  
[القصر: ٢٠] وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون فثنى العزم عن ذلك  
 واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته .

[١٨٩] وأحسن من ذلك ، ما ذكره ابن خلكان قال : إن بعض  
الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتابا يشخصه به

وكان للوزير بالعامل عناية فكتب إليه كتابا وكتب فى آخره إن شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم ، ففكر فى ذلك فظهر له أنه أراد ﴿إن المملأ يأترون بك ليقتلوك﴾ [القصص: ٢٠] فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده .

فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم أنه أراد ﴿إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها﴾ [المائدة: ٢٤] انتهى .

[١٩٠] وفى تاريخ بغداد ، ووفيات الأعيان : أن أبا حنيفة عليه السلام (١) كان له جار إسكافى يعمل نهاره ، فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه غنى وقال :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسنداد ثغر  
ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت ، حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته ، فسأل عنه فقيل : أخذه العسس (٢) منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال : ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أشفع فى جارى .

---

(١) أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفى : إمام المذهب الحنفى ، وأحد الأئمة الأربعة . قال الشافعى : إن الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه ت[١٥٠هـ] . انظر : الحوامر المضيفة (٣٦/١) .

(٢) العسس ، جمع العاس : الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة .

فقال الأمير : أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فخلوهم أيضاً ،  
وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج والإسكافى يمشى وراءه فقال له أبو  
حنيفة : يا فتى هل أضعناك ؟ فقال : بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيراً  
عن حرمة الحوار ، ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل .

[١٩١] وقال الشافعى<sup>(١)</sup> : قلت لمالك<sup>(٢)</sup> هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال  
نعم رأيت رجلاً لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته .

#### فائدة

[١٩٢] إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها «بسم الله الرحمن  
الرحيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ،  
الحمد لله رب العالمين» ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة  
من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع المطلبى ، أبو عبد الله الشافعى : الإمام العلم ،  
حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر سنين . قال أحمد بن  
حنبل: ستة أدعو لهم سحراً أحدهم الشافعى ت [٢٠٤هـ] . انظر : طبقات الشافعية  
لابن هداية ص ١١ .

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة ،  
وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه ينسب المالكية . أجمعت طوائف العلم  
على إمامته ، ت [١٧٩] . انظر : وفيات الأعيان (٢٨٤/٣) ، حلية الأولياء  
(٣١٦/٦) .

## فائدة أخرى للصداع

[١٩٣] ذكر في حياة الحيوان : أن مسلمة بن عبد الملك<sup>(١)</sup> لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال أهل عمورية للمسلمين : ما لأمركم لم يركب ؟ فقالوا : عرض له صداع فأخرجوا لنا برنسا وقالوا ألبسوه له يزل عنه ما يجد قلبسه فشفي ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ [البقرة: ١٧٨] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء: ٢٨] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾ [الأنفال: ٦٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم عسق﴾ [الشورى: ٢٠١] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا﴾ [الفرقان: ٤٥] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ [الأنعام: ١٣] فقال المسلمون : من أين لكم هذا ؟ هذا إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ قالوا : وجدنا هذا محفوظا في حجر كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمئة عام انتهى .

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : من أمراء بني أمية ، يلقب بالجرادة الصفراء ، له فتوحات مشهورة ، غزا الترك والسند [١٠٩هـ] ، ت [١٢٠هـ-٧٣٨م] .  
انظر : دول الإسلام (١/٦٢) .

[١٩٤] قال الحافظ ابن عساكر : ويكتب للصداق أيضا بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾ ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا ﴿مريم: ٣٠، ٢٠، ١﴾ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا﴾ [الفرقان: ٤٥] ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] ﴿حم عسق﴾ [الشورى: ٢٠، ١] كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر ، كم لله من نعمة فى قلب خاشع وغير خاشع، وكم لله من نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن ، اذهب أيها الصداق بعز عز الله بنور وجه الله ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ [الأنعام: ١٣] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين فإنه نافع .

[١٩٥] وعن أبي الدرداء<sup>(١)</sup> قال : «صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى مات . فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : من الداعى على هذا الكلب؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله قال : فما قلت ؟ قال قلت : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت . فقال ﷺ لقد دعا الله بالاسم الأعظم الذى إذا دعى به أحاب وإذا سئل به أعطى»<sup>(٢)</sup> . وهذا الحديث فى السنن الأربعة ومسند أحمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وأن الرجل الداعى سعد بن أبى وقاص انتهى من حياة الحيوان<sup>(٣)</sup> .

(١) عويمر بن عامر بن مالك بن زيد الأنصارى ، أبو الدرداء : من كبار الصحابة

وقضاتهم وزهادهم ، ت[٣١هـ] . انظر : الإصابة (٤٥/٢) .

(٢) الحديث : رواه الترمذى ، كتاب الدعوات (٦٣) . ابن ماجه ، الدعاء (٩) .

(٣) انظر : حياة الحيوان ، حرف الكاف (٣٨٣/٢) .

[١٩٦] تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل في أنبوبة وتدفن في الزرع والكرم فإنه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى وهي : «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم أهلك صغارهم واقتل كبارهم وأفسد بيضهم، وخذ بأفواههم عن معاشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا أرحم الراحمين» . وهو عجيب مجرب .

#### فائدة

[١٩٧] قال القرافي<sup>(١)</sup> : اتفق الناس على تكفير إبليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام ، وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود وإلا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كافرا ، وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى وإلا لكان كل حاسد كافرا ، وليس كفره بعصيانته وفسوقه وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء ، وينبغي أنه إنما كفر بنسبة الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذي ليس بمرضئى ؛ ويظهر ذلك من فحوى قوله ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [ص: ٧٦] ومراده أن إلزام العظيم الحليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله

(١) أحمد بن إدريس ، القرافي أبو العباس : من علماء المالكية الكبار ، من أهم كتبه : الفروق ، ت[٦٨٤هـ-١٢٥٨م] . انظر : شجرة النور الزكية (٣٩٦/١) .

تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر :

خليلى إن قالت بثينة ماله      أنا بلا وعد فقولا لها لها  
أتى وهو مشغول بعظم الذى به      ومن بات طول الليل يرعى السها سها  
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى      إذا برزت لم يبق يوما بها بها  
لها مقللة كحلا وخد مورد      كأن أباهما الظبى أو أمها مها  
دهتسى بود قاتل وهو متلفى      وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء ؛ دود يكون فى أنف الإبل والغنم الواحدة نغفة ، انتهى عن الأصمعى .

وقال أبو عبيدة : هو الدود الأبيض يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف<sup>(١)</sup> .

[١٩٨] وروى : مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال : «ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة»<sup>(٢)</sup> ومعنى قوله فرسى قتلى ، وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها .

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف النون (٤٩٤/٢) .

(٢) الحديث : رواه مسلم ، كتاب الفتن (١١٠) .

## حكاية الهامة<sup>(١)</sup>

[١٩٩] روى أبو نعيم في الحلية<sup>(٢)</sup> : عن ابن مسعود قال : كنت عند كعب الأحبار<sup>(٣)</sup> وهو عند عمر بن الخطاب فقال كعب الأحبار : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء رأيته في كتب الأنبياء أن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت : السلام عليك يا نبي الله ، فقال: وعليك السلام يا هامة أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع ؟ قالت : يا نبي الله إن آدم أخرج من الجنة بسببه . قال: فكيف لا تشرين الماء ؟ قالت : لأنه غرق فيه قوم نوح ؛ فمن أجل ذلك لا أشربه . فقال لها : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله تعالى ؛ فانا أسكن ميراث الله ، قال الله تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨] فالدنيا ميراث الله كلها .

قال سليمان : فما تقولين إذا جلست فوق خربة ؟ قالت أقول : أين الذين كانوا يتنعمون فيها . قال سليمان : فما صياحك في الدور إذا مررت عليها؟ قالت : أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد . قال

---

(١) الهامة ، بتخفيف الميم : طير الليل .

(٢) انظر : حلية الأولياء (٣٦٩/٥) .

(٣) كعب بن ماتع بن ذى هجن ، أبو إسحاق : تابعي كان في الجاهلية من علماء اليهود في اليمن ، وأسلم زمن أبي بكر وقدم المدينة زمن عمر ؛ فأخذ عنه الصحابة من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ت [٣٢٢هـ] .

سليمان عليه السلام : فمالك لا تخرجين بالنهار ؟ قالت : من كثرة ظلم  
بنى آدم لأنفسهم . قال : فأخبريني ما تقولين فى صياحك ؟ قالت : أقول  
تزودوا يا غافلون وتهيئوا لسفركم سبحانه خالق النور . فقال سليمان :  
ليس فى الطيور طيرا أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة ومافى قلوب  
الجهال أبغض منها .

والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة  
الحيوان<sup>(١)</sup> .

[٢٠٠] وفى كتاب فردوس الحكم قال : آية من كتاب الله تعالى  
من قرأها يأمن الهوام ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا  
هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [مرد: ٥٦]

[٢٠١] وفى كتاب العرائس لأبى الفرج بن الجوزى : إن بعض  
طلبة العلم خرج من بلاده فرقه شخص فى الطريق ، فلما كان قريبا من  
المدينة التى قصدتها قال له ذلك الشخص : قد صار لى عليك حق وذمة  
وأنا رجل من الحان ولى إليك حاجة قال : وما هى ؟ قال إذا أتيت مكان  
كذا وكذا فإنك تجد فيه دجاجات بينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه  
واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى إليك . قال : فقلت له يا أخى وأنا أيضا  
أسألك حاجة ؟ قال : وما هى ؟ قلت : وإذا كان للإنسان مارد لا تعمل  
فيه العزائم وألح بالآدمى منا ما دواؤه ؟ قال : يؤخذ له وتر قدر شبر من

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الهاء (٢/٥١١) .

جلد الیحمور ویشد به إبهام المصاب من یده شدا وثیقا ، ثم یؤخذ له من دهن السذاب<sup>(١)</sup> البری ویقطر فی أنفه الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فإن الماسک به يموت ولا يعود إلى أحد بعده .

قال : فلما دخلت المدينة أتیت إلى ذلك المكان فوجدت الديک لعجوز فسألتها بیعه فأبت ، فاشتريته منها بأضعاف ثمنه . فلما اشتريته وملکته تمثل لى من بعيد وقال بالإشارة : إذبحه فذبحته فخرج علىّ عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربوننى ويقولون : يا ساحر فقلت : لست بساحر فقالوا : إنک منذ ذبحت الديک أصيبت شابة عندنا بجنى ، وإنه منذ مسکها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شیر من جلد یحمور وشيئا من دهن السذاب البری فأتوا بهما فشددت إبهامى یدى الشابة شدا وثیقا ؛ فلما فعلت بها ذلك صاح قائلا وأنا علمتك على نفسى ، ثم قطرت من الدهن فی أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفی الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شیطان . فائدة : الیحمور حمار الوحش<sup>(٢)</sup> .

فائدة

[٢٠٢] دم اليربوع يؤخذ ویطلى به الشعر الذى ینبت فى الحفن بعد أن ینتف یذهب بإذن الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

---

(١) دهن السذاب : نبات قوی الرائحة ، أزهاره صغيرة . یزرع فى أوروبا وآسيا ، له بعض الفوائد الطبية لكن استعماله خطیر للغاية .

(٢) انظر : حياة الحيوان ، حرف الیاء (٥٥٧/٢) .

(٣) اليربوع : نوع من القواضم يشبه الفأر ، قصیر البدن طویل الرجلین وله ذنب طویل .

انظر : حياة الحيوان ، حرف الیاء (٥٥٩/٢) .

[٢٠٣] عين الهدهد إذ علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه ،  
وريشه إذا حملة إنسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما  
يريد ، ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ، ودمه إذا قطر فى البياض  
العارض فى العين أذهب ، وإذا بخر بمخه برج حمام لم يقربه شىء يؤذيه  
والله أعلم<sup>(١)</sup> .

[٢٠٤] وحكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتابه  
مسالك الأنصار فى ممالك الأمصار فى ترجمة الحاكم بأمر الله أبى على  
منصور<sup>(٢)</sup> قال: بينما هو فى موكبه قبلى بركة الجيش إذا مر برجل على  
بستان له وحوله عبيده فاستسقاء ماء فسقاء ، ثم قل : يا أمير المؤمنين قد  
أطمعنى فى السؤال فإن رأى أمير المؤمنين أن يكرمنى بنزوله لأحظى بتمام  
السعد فأجابه لذلك ونزل بجيشه فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة  
وسادة ومائة طبق فأكهة ومائة حمام حلوى ومائة زبدية سكرية ؛ فبهت  
الحاكم وقال : أيها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فأعددت هذا؟  
قال: لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنما أنا تاجر من رعيك لى مائة محضية ؛  
فلما أكرمتنى بالنزول عندى أخذت من كل واحدة شيئاً من فرشها وزائد  
أكلها وشربها؛ فإن لكل واحدة فى كل يوم طبق طعام وطبق فأكهة وحمام  
حلوى وزبدية شراب، فسجد أمير المؤمنين شكراً لله تعالى وقال : الحمد

(١) انظر : حياة الحيوان ، حرف الهاء (٥١٩/٢) .

(٢) الحاكم بأمر الله ، أبى على منصور : الخليفة الفاطمى . خلف أباه العزيز [٣٨٦هـ]

اشتهر بالظلم والاستبداد . اغتيل واحتفى أثره [٤١١هـ] .

لله الذى جعل فى رعايانا من يسع حاله هذا ، ثم أمر له بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ، ولم يركب حتى أحضرها وأعطائها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروأتك ، ثم ركب وانصرف .

[٢٠٥] وحكى أبو إسحاق إبراهيم الموصلى قال : دعانى يحيى

بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفر ولديه جالسين بين يديه فقال لى: يا أبا إسحاق أصبحت اليوم مهموما فأردت الصبوح لأتسلى فغن لى صوتا لعلى أرتاح له فغنيتة :

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت      يحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر  
فما خلقت إلا لجود أكفهم      وما خلقوا إلا لأعواد منبر

فسر وارتاح وأمر لى بمائة ألف ، وأمر لى كل واحد من ولديه بمائة ألف ؛ فحمل المال جميعه بين يدى فأخذته وانصرفت .

[٢٠٦] وحكى عن مخارق قال : أصبحت السماء مغيمة وأصبح

الرشيد مع حريمه، فأمرنا بالانصراف وأذن لنا أن نقيم فى منازلنا ثلاثة أيام فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم . فقلت : لا والله لأذهبن إلى أستاذى إبراهيم الموصلى فأعرف خبره ثم أعود، وأمرت من عندى أن يهيؤا لى مجلسا إلى وقت رجوعى ، فجنث إلى دار إبراهيم وقلت للبواب : أخبر أستاذك فأخبره.

فقال : ادخل فدخلت فإذا هو جالس فى رواق وبين يديه قدر تفرغر، وأباريق تزهى ، وستارة منصوبة والحوارى خلفها فقلت: ما بال الستارة لا

أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : اقعد ويحك أصبحت على ما ترى فأتاني  
خبير ضيعة بيعت بحواري وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم أملكها وقد  
أعطى فيها الآن مائة ألف فقلت : وما يمنعك منها وقد أعطاك الله أضعاف  
هذا المال ، قال : صدقت ولكن نفسي غير طيبة بإخراج هذا المال ، وقال :  
خذ هذا القضيبي ونقر بقضيبي في يده على المدورة وألقى على :

نام الخليون من وهم ومن سقم      وبت من كثرة الأحزان لم أنم  
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا      اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال : فأخذته وأحكمته ، ثم قال : امض الساعة إلى باب الوزير  
يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رأيت ، واذكر الضيعة وعرفه أنى  
صنعت له هذا الصوت فأعجبني ولم أجد من يستحقه إلا جاريته دنانير ،  
وأنتى ألقيته عليك لتلقيه عليها وأنتى بما يكون من الخبر .

قال : فجئت إلى الباب واستأذنت وأعلمته فأمر بنصب الستارة  
وألقيت الصوت على الجارية مرارا حتى أحكمته فقال لى : تقيم عندنا أو  
تنصرف ؟ قلت : أنصرف أطل الله بقاء مولانا الوزير ، فقال : يا غلام  
احمل معه عشرة آلاف واحمل إلى إبراهيم مائة ألف ، فحملت مالى وأتيت  
إلى منزلى فنشرت على من عندى من الحواري دراهم من تلك البدرة  
وأكلت وشربت بقية يومى .

فلما أصبحت قلت : والله لأذهبن إلى أستاذى ولأعرفن خبره فأتيت  
ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه بالأمس ، فقلت له : ما الخبر ألم  
يأتك المال ؟ قال : نعم غير أنه لما دخل منزلى بخلت نفسي بإخراجه  
وألقى على صوتا آخر أتيت به الفضل بن يحيى ، وحدثته بما كان من أياه

بالأمس فأمر أن يحمل معى عشرون ألفا ولإبراهيم مائتا ألف وفعلت مثل ما فعلت بالأمس ، وغدوت إليه لما أصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره وألقى علىّ صوتا غيره أتيت به جعفر بن يحيى وأخبرته بما كان من أبيه وأخيه فأمر أن يحمل معى ثلاثون ألفا وإلى إبراهيم ثلثمائة ألف فحملته معى إليه فبكى إبراهيم وقال : وصلت إلىّ ستمائة ألف وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله أرواحهم أجمعين .

[٢٠٧] وقال إسحاق : غدوت يوما وأنا منحصر من ملازمة أمير المؤمنين، فعرضت نفسى على أن أطوف فى الصحراء وأنفرج وقلت لغلمانى : إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكانى ، فطففت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى فضاء أستريح . فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ، ورأيت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسى أنها مغنية ، ثم أدخلت الدار التى أنا واقف عليها ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا أن صاحب الدار دعانى وظن صاحب البيت أننى معهما وجلسنا؛ فأتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفى يدها عود فغنت وشربنا . فسألها صاحب المنزل عنى فأخبراه أنهما لا يعرفانى فقالوا : هذا طفيلى لكنه ظريف فأحملوا عشرتى فشربنا ودار الكأس فغنت الجارية تقول :

ذكرتك إذ مرت بنسا أم شادن      أمام المطايا وهى بالشرب تسمح  
من المولغات الرمل أبدى ثغرها      شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فأدته أداء حسنا ثم غنت صوتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد لاهيا      ونأى عنى جانبيا  
قد بلغت الذى أرد      ت وإن كنت لاعبيا

فاستعدته منها لأصححه عليها فأقبل على أحد الرجلين يعنفنى ويقول:  
ما رأينا طفيليا أصفق وجهها منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت ، وهذا  
غاية المثل طفيلى ويقترح . فأطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ؛  
ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا وأخذت عود الجارية وشددت  
طبقتة وأصلحته إصلاحا حسنا محكما وعدت إلى موضعى وعادوا ، وأخذ  
ذلك الرجل فى عريدته على وأنا صامت ، وأخذت الجارية العود وجسته  
فأنكرت حاله وقالت : من جس عودى ؟ قالوا : ما جس أحد قالت : بلى  
والله لقد جس حاذق متقدم وشد طبقتة وأصلحه إصلاح متمكن من  
الصناعة قلت لها : أنا قالت : بالله خذ واضرب فأخذته وضربت ضربا  
عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى منهم أحد إلا وثب وجلس بين يدى .

وقال صاحب المجلس : أقسم بالله أن لك فى هذه الصناعة أصواتا  
غريبة فبالله عليك ألا عرفت بنفسك ؟ فقلت : أنا إسحاق الموصلى ووالله  
إنى لأتية على الخليفة إذا طلبت ، وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعى ما  
أكره لكونى تأدبت معكم ودخلت عندكم ووالله لا نطق بحرف ولا  
جلست حتى تخرجوا هذا المفقوت فقال له صاحبه : من مثل هذا خفت  
عليك ، وأخذوا بيده وسحبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الأصوات  
التي غنتها الجارية من صنعتى فقال لى الرجل : هل لك فى خصلة ؟ قلت :  
ما هى ؟ قال : تقيم عندنا أسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك . قلت :  
نعم أفعل وأقيم عنده أسبوعا لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فى  
كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبرى .

فلما انقضت الأيام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك إلى منزلى وركبت من وقتى إلى المأمون . فلما رآنى قال : يا أبا إسحاق ويحك أين كنت فأخبرته الخبر ، فقال : علىّ بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فأحضره وسأله المأمون فأخبره بالقصة ، فقال : أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعان عليها ، وأمر له بمائة ألف ؛ وقال له : لا تعاشر ذلك النذل المعربد ، انتهى .

[٢٠٨] ومن كلام الأحوص فى حضرة يزيد : غتته جارية بين يديه :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع      من الحب ميعاد السلو المقابر  
ستبقى لها فى مضر القلب والحشا      سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال : لمن الشعر ؟ قالت لا أدرى ، قال ابعثوا إلى الزهرى<sup>(١)</sup> وكان قد ذهب من الليل شطره فأتى به . فلما صعد إليه قال : لا بأس عليك لن ندعوك إلا لخير ، فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال : الأحوص قال ما فعل به ؟ قال : قد طال حبسه فأمر بتخلية سبيله ، وأن يدفع له أربعمائة دينار ، ثم قدم عليه بعد ذلك فأجازه وأحسن إليه إحساناً جزيلاً وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك ، انتهى .

[٢٠٩] وحكى مسرور الخادم : أن الرشيد قصد الركوب فى غير عادته فقلت له : أين تريد يا أمير المؤمنين فى هذا الوقت ؟ قال : إلى منزل

---

(١) إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو إسحاق الزهرى : من علماء الحديث الثقات ،

كان يبيع الغناء ويضرب العود ويغنى عليه . روى له البخارى ومسلم ، ولى القضاء ببغداد وتوفى بها .

إبراهيم الموصلي. قال: فمضى حتى انتهى إلى منزل إبراهيم الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال : يا أمير المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر ؟ قال : نعم شوق طرق بي إليك ، ثم نزل وجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم فقال له إبراهيم : يا سيدي استنبطنا شيئاً تأكله قبل الشراب ، قال : نعم فجاء بمطعموم كأنما كان معداً له فأصاب منه يسراً . ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي : يا سيدي أغنيك أم تغنيك إماًؤك ؟ قال: بل الجوارى فخرجت جوارى إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانيبه ، فقال إبراهيم: أضربن كلهن أم واحدة واحدة ؟ فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني. قال : فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت :

كادت لها مهجتي من حرها تقع  
لكنك أعقل ما آتى وما أدع  
ما كلف الله نفساً غير ما تسع

إذا دعا باسمها داع يحدثني  
لو أن لي صبرها أو عندها جزعي  
لا أحمل اللوم فيها والغرام بها  
ثم غنت أخرى فقالت :

بيضاء تخلط بالحمال دلالها  
بأكفهم أو يطمسون هلالها  
فأردتمو بمحالكم إبطالها

طرقتك زائرة فحى خيالها  
هل يطمسون من السماء نجومها  
شهدت من الأنفال آخر آية  
ثم غنت أخرى فقالت :

وأورثك سقاماً تصدع الكبد  
وخلفوك غداة البين منفرداً

شطت سعاد وأضحى البين قد أبدى  
فما احتيالك إذ جد الرحيل بهم

لا أستطيع لهم صبرا ولا جلدا      ولا تزال أحاديثي بهم جددا

قال : فقام حتى وصل صدر الإيوان وأخذ بجانبه والرشيد يسمع ولا  
ينصت لشيء من غنائهن إلى أن غتته صبية من صدر الإيوان من حاشية  
الصفة هذين البيتين لأبي نواس :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه      اقبس بما شئت من قلبي بمقباس  
ما أتبّع الناس في عيني وأسمّحهم      إذا نظرت فلم أنظرك في الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل  
الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقبلت بين يديه  
فأخبرته بشيء أسرته إليه فدعا بحماره فركبه ثم إلتفت إلى إبراهيم  
الموصلى وقال له : ما ضرك أن تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى  
دعاه بعد ذلك وأدناه .

قال : وكان الذي أخبرته به سرا أن الصنعة في الصوت لأخته عليّة  
بنت المهدي<sup>(١)</sup> وكانت الجارية لها فوجهتها إلى إبراهيم الموصلى  
يطارحها

[٢١٠] ومن قول أبي نواس :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء      وداونى بالتي كانت هي الداء  
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها      لو مسحها حجر مسته سراء  
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر      لها محبان لواط وزناء

(١) عليّة بنت المهدي : أخت هارون الرشيد ، أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن . تقول

الشعر ، ت [٢١٠هـ] . انظر : أعلام النساء (٣/٣٣٤) .

قامت بإبريقها والليل معتكر  
فأرسلت من فم الإبريق صافية  
رقت على الماء حتى لا يلائمها  
فلو مزجت بها نورا لمازجها  
دارت على ففة ذل الزمان لهم  
فقل لمن يدعى فى العلم توسعة

فلاح من وجهها فى البيت لآلاء  
كأنما أخذها للعقل إخفاء  
لطافة وخفى من شكلها الماء  
حتى تولد أنوار وأضواء  
فما يصيهمو إلا بما شاءوا  
حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

### [٢١١] وقال الشاعر:

كعصفورة فى كف طفل يهينها  
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها

تذوق مرار الموت والطفل يلعب  
ولا الطير مطلق الجناح فيهرب

[٢١٢] وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار<sup>(١)</sup> قال : مثل  
قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فجا فجاء عصفور فدنا إلى الفخ ، وقال :  
مالك متغيبا فى التراب ؟ فقال : للتواضع . فقال : فممت انحنيت ؟ قال من  
طول العبادة . قال : فما هذه الحبة التى فى فيك ؟ قال : أعددتها  
للصائمين . فلما تناول الحبة أمسك الفخ عنقه فقال العصفور : إن كان  
العباد يخنقون خنقك فلا خير فى هذه العبادة اليوم ، انتهى .

[٢١٣] قال الشافعى رحمته الله : أربعة أشياء تزيد فى الجماع : أكل  
العصافير ، وأكل الأطريفل وأكل الفستق ، وأكل الجرجير . وأربعة أشياء  
تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ،  
والعمل بالعلم . وأربعة تقوى البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة

(١) مالك بن دينار البصرى ، أبو يحيى : من تلامذة الحسن البصرى ، من كبار زهاد  
البصرة ، روى عن أنس بن مالك . [١٣١هـ] .

الغسل من غير جماع ، وليس الكتان . وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع ، وكثرة الهم ، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحموضة ، انتهى من حرف العين<sup>(١)</sup> .

[٢١٤] و[قيل] : دخل ابن الخياط المكي<sup>(٢)</sup> على المهدي ومدحه فأمر له بخمسين ألف درهماً فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن له فقبلها وخرج فما انتهى إلى الباب حتى فرقها جميعاً فعوتب في ذلك فأنشد يقول:

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى      ولم أدر أن الجود من كفه يعدى  
فلا أنا منه ما أفاد ذوى الغنى      أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى  
فغنى بهما المهدي فأمر له بخمسين ألف ديناراً انتهى .

[٢١٥] ولبعضهم تغزلاً في مليح :

أقول لمقلتيه حين ناما      وسحر النوم فى الأحفان سارى  
تبارك من توفاكم بليلى      ويعلم ما جرحتم بالنهار

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف العين (١٦٦/٢) .

(٢) يوسف بن عبد الله بن سلم ، ابن الخياط : شاعر من أهل المدينة ، له أخبار وفيه ظرف . جلده مالك بن أنس حداً في شرب الخمر ، ت[٢٣٠هـ = ٨٤٥م] .

## ٣ - فصل

### الإمام أحمد ومناقبه رضى الله تعالى عنه<sup>(١)</sup>

[٢١٦] مات سنة مائتين وإحدى وأربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته ﷺ عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى .

[٢١٧] وقال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ، وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس .

[٢١٨] وقال محمد بن خزيمة : لما بلغنى موت الإمام أحمد بن حنبل ﷺ اغتممت غما شديدا ، فرأيت فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت : يا أبا عبد الله ما هذه المشية ؟ فقال مشية الخدام فى دار السلام . فقلت ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وتوجنى وأبسنى نعلين من ذهب ، وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق . ثم قال الله تعالى : يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى : إمام أهل السنة ، وأحد الأئمة الأربعة . نشأ منكبا على طلب العلم وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة . قال الشافعى : أحمد إمام فى ثمان خصال : إمام فى الحديث ، إمام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن ، إمام فى الفقر ، إمام فى الزهد ، إمام فى الورع ، إمام فى اللغة . ت[٢٤١هـ-٨٨٥م] . انظر : طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٤/١) ، البداية والنهاية (٣٢٥/١٠) .

فى دار الدنيا فقلت : يا رب أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تسألنى  
عن شىء واغفر لى كل شىء ، فقال جل وعلا : يا أحمد هذه الجنة  
فادخل فيها .

[٢١٩] وأنشد بعضهم فى تاريخ موت الأئمة الأربعة ومولدهم :  
الإمام أبى حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن  
حنبل رحمهم الله أجمعين

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| تاريخ نعمان يكن سيف سطا | ومالك فى قطع جوف ضبطا |
| والشافعى صين بـبرند     | وأحمد بسبق أمر جمعد   |
| فخذ على ترتيب نظم الشعر | ميلادهم فموتهم فالعمر |

[٢٢٠] وكذا فى تاريخ الأئمة الخمسة المحدثين : الإمام  
الترمذى<sup>(١)</sup> ، وأبو داود<sup>(٢)</sup> ، والإمام مسلم<sup>(٣)</sup> ، والنسائى<sup>(٤)</sup> ، والإمام  
البخارى<sup>(٥)</sup> ، وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت واحد فقال :

- 
- (١) محمد بن عيسى بن سورة ، أبو عيسى الترمذى : من أئمة الحديث وحفاظه ، تتلمذ  
للبخارى وشاركه فى بعض شيوخه ، له الجامع الكبير . ت[٢٧٩هـ] .
- (٢) سليمان بن الأشعث ، أبو داود السجستانى : من أئمة الحديث ، جال كثيرا فى طلب  
العلم ، واستقر فى البصرة ، له كتاب "السنن" من الكتب الستة . ت[٢٧٥هـ] .
- (٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم ، أبو الحسن : إمام الحديث ، صاحب الجامع الصحيح  
المعروف ؛ بصحيح مسلم الحافظ ت[٢٦١هـ] .
- (٤) أحمد بن على ، النسائى : الحافظ ، الإمام ، صاحب السنن الكبرى . له اليد الطولى  
فى علم الرجال . ت[٣٠٣هـ] .
- (٥) محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخارى : إمام علم الحديث ، صاحب أصح  
كتاب بعد كتاب الله . كان كثير الترحال طلبا لحديث رسول الله . ت[٢٥٦هـ] .

إذا رمت الحديث فلذ بخمس      تكن مثل المشافه فى الحياة  
تعطر درعه مارص نسج      بنور للمحدث للوفاة

بيان ذلك أن التاء إشارة للترمذى ، والدال إشارة لأبى داود ، والميم  
إشارة للإمام مسلم ، والنون للنسائى ، والباء للبخارى والله أعلم .

[٢٢١] ويحكى أنه : أتى برجل مدنى سكران إلى بعض الولاة فأمر  
بإقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه  
فقال الجلاد : للمدنى تقاصر لينالك الضرب . فقال : ويلك إلى أكل  
الفالودج<sup>(١)</sup> تدعونى والله لوددت أن أكون أطول من عوج بن عنق وأنت  
أقصر من يأجوج ومأجوج فاستظرفه الأمير وخلقى سبيله ، انتهى من حلبة  
الكميت .

[٢٢٢] ومن قول ابن المعتز<sup>(٢)</sup> :

وجاءنى فى قميص الليل مسترا      يستعمل الخطر من خوف ومن حذر  
ولاح ضوء صباح كاد يفضحنا      مثل القلابة قد قدت من الظفر  
وكان ما كان مما لست أذكره      فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

[٢٢٣] ول بعضهم عفا الله عنه :

جرى دمعى من الحال الذى بى      كحرى الماء فى أول أييب

---

(١) الفالودج : من أنواع الحلوى .

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم : الشاعر المبدع ، خليفة يوم

وليلة . كان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم ت[٢٩٦هـ-٩٠٩م] . انظر : وفیات

الأعيان (٢٨٥/١) .

ومع هذا فلا أقطع رجائي لأن الله اللطيف من أبى بى

[٢٢٤] ومن كلام الشافعي رحمته:

لم يدر طعم الفقر من هو فى غنى  
كم فاقة مستورة بمسرواة  
وتبسم من تحته قلب شحى  
والناس جمعا عند كل كفوه  
لر سود الهم الملابس لم تجد  
وإذا أراد المرء يجلو همه  
ومصحح الأعضاء ليس كمبتلى  
وضرورة قد غطيت بتحمل  
قد صادفته غمة لا تنجلي  
والهم مفترق وما أحد خلى  
بيض الثياب على امرئ فى محفل  
عن نفسه من نفسه لا ينجلي

[٢٢٥] ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعى  
رحمه الله تعالى فى أرض اليمن :

رياض نجد بكم جنان  
وترب واديكمو بنجد  
والروض من شعبك عبير  
والجار فى ربكم عزيز  
فكم سفكم دمي ودمعى  
ورمت أخفى الهوى ودمعى  
يالائمن اقصروا ملامى  
لا تذكروا الظاعنين عندى  
قالوا هراهم عليك حتم  
قالوا فكم تكلم النصايبى  
قالوا فقد فارقوك ربعا  
فضية نورها حسان  
مسك وحبهاؤها حمان  
والزهر ورد وزعفران  
والحر فى أرضكم يمان  
أما على القاتل الضمان  
من شدة الوجد ترجمان  
رفقا بمن قلبه ملان  
فلى وللظاعنين شان  
فقلت عهد الهوى يمان  
قلت المعنى بهم معان  
قلت هم الناس حيث كانوا

قالوا فدعهم فقلت كلا  
ليت الصبا الحاجرى يبنى  
هل عهدهم عهدهم بنجد  
يا محسنا بالزمان فانا  
لا تتبع النفس فى هواها  
وأحطتى من عتاب ربى  
إلى متى أنت فى الملامى  
لو خوفتك الجحيم بطشى  
عندى لك الصفح وهو برى  
ما تستحى كاتباً كريماً  
وتستحى شعبة تراهها  
أنت شجاع على المعاصى  
لم ينهك الشيب عن حدودى  
ترضى بأن تنقضى اللبالي  
أى أوان تنسوب فيه  
آثرت غيرى على لكن  
يا سيدى هذه عيوبى  
يا من له فى العصاة شان  
يا من ملا بره النواحي  
عفوا فلانى رهين ذنب  
فاغفر لعبد الرحيم والطف  
وسامح الكل من ذنوب  
وصل يا ذا العلا وسلم

لعل دهرنا قسا يلان  
عن حيرة البان يوم بانوا  
باق أم استؤمنوا فخانوا  
هل تدر ما يفعل الزمان  
إن اتباع الهوى هو ان  
إن قبل أسرفت يا فلان  
تسرمر على لك العنان  
لشوقت قلبك الخنان  
وعندك السيف والسنان  
يحصى به الفعل واللسان  
فى النار مسحوبة تهان  
وأنت عن طاعتى جبان  
ولا رسولى ولا القران  
وما انقضى حربك العوان  
هل بعد قطع الرجاء أوان  
كما يدين الفتى يدان  
وأنت فى الخطب مستعان  
البر والعطف والخنان  
لم يخل من بره مكان  
حاشاك أن يخلق الرهان  
بعوائف ماله أمان  
غدا بها يشهد البنان  
على من أخلاقه حسان

وهذه قصيدة الإمام الولي العارف بالله تعالى أبي محمد بن أبي عمران  
اليشكري نفعا الله به

[٢٢٦] قال العلامة بدر الدين بن فرحون<sup>(١)</sup> : -أحد أصحاب  
ناظمها- إن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ في المنام قال البدر: وأشك  
هل كان هو الشيخ أو غيره ، وأنشد هذه القصيدة ؛ فلما بلغ آخرها قال  
النبي ﷺ : رضيناها رضيناها وهي هذه :

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| دار الحبيب أحق أن تهواها     | ونحن من طرب إلى ذكراها       |
| وعلى الجفون إذا هممت بزررة   | يا ابن الكرام عليك أن تغشاها |
| فلانت أنت إذا حللت بطيبة     | وظللت ترتع في ظلال ربها      |
| مغنى الجمال من الخواطر والتي | سلبت قلوب العاشقين حلاها     |
| لا تحسب المسك الذكي كتربها   | هيهات أين المسك من رباها     |
| طابت فإن تبغى لطيب يا فتى    | فادم على الساعات لثم ثراها   |
| وابشر ففى الخير الصحيح تقررا | إن الإله بطيبة سماها         |
| واختصها بالطيبين لطيبها      | واختارها ودعا إلى سكنها      |
| لا كالمدينة منزل وكفى بها    | شرفا حلول محمد بفناها        |
| خصت بهجرة خير من وطىء الثرى  | وأجلهم قدرا وأعظم جاهها      |
| كل البلاد إذا ذكرن كأحرف     | فى اسم المدينة لا خلا معناها |
| حاشا مسمى القدس فهى قرية     | منها ومكة إنها إياها         |
| لا فرق إلا أن ثمم لطيفة      | مهما بدت يحلو الظلام سناها   |

(١) إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون : فقيه مالكي ، ومؤرخ ، من أهم تصانيفه  
الدياج المذهب . انظر : نيل الإبتهاج ص ٣٠ .

حزم الجميع بيان خير الأرض ما  
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت  
وبهذه ظهرت مزينة طيبة  
حتى لقد خصت بهجرة حبه  
ما بين قبر للنبي ومنبر  
هذى محاسنها فهل من عاشق  
إنى لأرهب من توقع بينها  
ولقلما أبصرت حال مودع  
فلكم أراكم قافلين جماعة  
قسما لقد أكسى فؤادى بينكم  
إن كان يزعمكم طلاب فضيلة  
أو خفتهم ضرا بها فتأملوا  
أف لمن يبغي الكثير لشهوة  
فالعيش ما يكفى وليس هو الذى  
يا رب أسأل منك فضل قناعة  
ورضاك عنى دائما ولزومها  
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها  
بحوار أوفى العالمين بذمة  
من جاء بالآيات والنور الذى  
أولى الأنام بخطة الشرف التى  
إنسان عين الكون سر وجوده  
حسبى فلست أفى ببعض صفاته  
كثرت محاسنه فأعجز حصرها

قد حاز ذات المصطفى وحوها  
كالنفس حين زكت زكى ماواها  
فغدت وكل الفضل فى معناها  
الله شرقها به وجباها  
حيا الإله رسوله وسقاها  
كلف شجى ناحل بناواها  
فيظلل قلبى مرجعا أوأها  
إلارثت نفسى له وشجاها  
فى أثر أخرى طالين سواها  
جزعا وفجر مقلتى مياها  
فالخير أجمعه لدى مثواها  
بركات بقعتها فما أزكاها  
ورفاة لم يدر ما عقباها  
يطغى النفوس إلى خميس مناها  
يسيرها وتحصنا بحماها  
حتى توافى مهحتى أخراها  
فقبلت دعواها فىا بشرها  
وأعز من بالقرب منه يهاى  
داوى القلوب من العمى فشفاه  
تدعى الوسيلة خير من يعطاها  
يس أكسير المحامد طاها  
لو أن لى عدد الورى أفواها  
فغدت وما نلقى لها أشباها

فعلمت أن علاه ليس يضاهي  
وفضائل المختار لا تنهاه  
قال الإله له وحسبك جاهها  
هم ممن يقسال يبايعون الله  
واها لنشأتها الكريمة واها  
تهدى النفوس لرشداه وغناها  
وعليه من بركاته أنماها  
أكرم بعترته ومن والاهها  
وعلى صحابته التى زكاها  
فئة التقى ومن اهتدى بهداهها  
نجزت وظنى أنه يرضاها

إنى اهتديت من الكتاب بآية  
ورأيت فضل العالمين محمدا  
كيف السبيل إلى تقصى مدح من  
إن الذين يبايعونك إنما  
هذا الفخار فهل سمعت بمثله  
صلوا عليه وسلموا فبذلكم  
صلى عليه الله غير مقيد  
وعلى الأكابر آله سرج الهدى  
وكذا السلام عليه ثم عليهم  
أعنى الكرام أولى النهى أصحابه  
والحمد لله الكريم وهذه

وهذا آخرها والحمد لله وحده

[٢٢٧] ولبعضهم شعر :

تجرى المقادير على نقشه  
واحذر على نفسك من نبشه  
تنزل السلطان عن عرشه  
أدرج رأس الكبش فى كرشه  
لا بد أن ينكب فى فرشه

لله فى ملكه خاتم  
لا تنبش الشربلى به  
مصارع الدهر لها سطوة  
إذا طفى الكبش بلحم الكلا  
إذا بغى المرء على جنسه

[٢٢٨] قوله ﷺ : «أنت ومالك لأبيك» ذكر العلامة الشمس

العلقى فى حاشيته على الجامع الصغيرة عن جابر قال : جاء رجل إلى  
النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبى أخذ مالى فقال النبي ﷺ للرجل  
اذهب فأتني بأبيك فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال : إن الله عز وجل

يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه . فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ : ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال : يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو حالاته أو على نفسي . فقال عليه الصلاة والسلام : أيها الشيخ دعنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي فقال له قل فأنأ أسمع فقال :

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| عذيتك مولودا وعلتك يافعا     | تعلم بما أسدى إليك وتنهل    |
| إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت | لسقمك إلا ساهرا أتململ      |
| كأنى أنا المطروق دونك بالذى  | طرقت به دونى وعيناي تهمل    |
| تخاف الردى نفسى عليك وإنها   | لتعلم أن الموت شيء مسجل     |
| فلما بلغت السن والغاية التى  | لها مدة قد كنت فيك أومل     |
| جعلت جزائى غلظة وفضاظة       | كأنك أنت المنعم المتفضل     |
| فليتك إذ لم ترع حق أبوتى     | فعلت كما الحار المحاور يفعل |

قال : فحيثأ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه وقال له : أنت ومالك لأبيك، انتهى .

[٢٢٩] وحكى الأصمعى قال : خرجت فى طلب الأعاجيب من الأحاديث فلاحت لى بلدة بيضاء كأنها الغمامة فدخلتها فإذا هى خراب وليس فيها ديار ولا أنيس ، فبينما أنا أدور فى نواحيها إذ سمعت كلاما فطار قلبى فأنصت فإذا به كلام موحش فسلكت سبى ودخلت ذلك المكان فإذا أنا برجل جالس وبين يديه صنم وفى يديه قضيب وهو يركى وينكت به الأرض ويقول :

أما و مسيح الله لو كنت عاشقا      لمت كما ماتت وما ضمنى لحدى  
وكم أتسلى بالحديث وبالمنى      وبالعبرات السائلات على خدى  
وإنى وإن لم يأتنى الموت سرعة      لأمسى على جهد وأضحى على جهد

قال : فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه ، فلم يشعر بى إلا أن قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال : وعليك السلام من أين أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان؟ فقلت : الله جاء بى قال : صدقت وهو الذى أفردنى فى هذا المكان ، فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذى بين يديك؟ فقال لى : إن حديثى عجيب وأمرى غريب فقلت له : حدثنى به ولا تخف منه شيئا فقال لى : اعلم إننا كنا قوما من بنى تميم وكنا على دين المسيح، وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمى، وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حجبتها عمى عنى فكنت أحبها سرا ؛ فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمى يرق الباب فادخلتنى سردابا وقامت هى ففتحت الباب ودخل عمى فقال لها : أين عبد المسيح ؟ فقالت : إنى لم أره ، فقال لها : إنى سمعت كلامه عندك . فقالت :لم تسمع شيئا وإنما خيل لك فقال لها : والله إن لم تصدقينى وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسحك الله حجرا فقالت له : إذا كنت كاذبة، فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم يا رب الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتى هذه كاذبة فى قولها فامسحها حجرا فمسحها الله حجرا ولى أربعون سنة فى هذا المكان وأنا اتقوت من نبات الأرض وأشرب من هذه الأنهار وأتسلى بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكم الله لى بالموت ثم بكى وأنشد يقول :

وحق الذى أبكى وأضحك والذى      أمات وأحيا والذى خلق الخلقا  
لئن قلت إن الحب قد يقتل الفتى      وإن الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا وإيسال العبرة التي تسيل وسيل الدمع منى لا يرقا

قال الأصمعى : ثم قام ذلك الشاب وتوارى عنى بجدار من تلك الجدر ونزع المسوح التي كانت عليه ولم يبق عليه إلا ما يوارى سواته ، فتألمته فإذا عيناه تدور فى أم رأسه فقلت فى نفسى : هذا أراد أن يطلعنى على نحول جسده ، ثم أقبل على وهو عريان وقال لى : يا فتى إتنى قائل ثلاثة أبيات وكان منى ما كان فإذا أنا مت فكفى أنا وإياها فى هذه الحجة وادفنا فى هذه الحون وضمنا بالتراب ، واكتب على قبرنا هذه الأبيات :

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| من لم يكن يحسب أن الهوى   | يقتل فلينظر إلى مضجعى  |
| لم يبق لى حول ولا قوة     | الإخبال الشمس فى موضعى |
| أشكو الى الرحمن جهد البلا | إشارة بالطرف والأصبع   |

قال الأصمعى : هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة، وإذا به وقع على الأرض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده . قال الأصمعى : فكفتهما ودفنتهما فى ذلك الحون ، وكتبت على قبرهما تلك الأبيات وتركتهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب ، انتهى .

[٢٣٠] و [قيل] : لما عزم أحمد بن طولون<sup>(١)</sup> على بناء الجامع المعروف به فى مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار ، ورتب فيه للعلماء، والقراء ، وأرباب الشعائر، والبيوت فى كل شهر عشرة آلاف دينار

---

(١) أحمد بن طولون : مؤسس الدولة الطولونية فى مصر والشام مستقلة عن الدولة

العباسية [٢٥٤هـ:٢٩٢هـ] .

وللصدقة فى كل يوم مائة دينار ، وكان مشتملا على خصال حميدة منها :  
أن فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز  
البنت ، وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا  
خرجت فسألت أمها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق فواعداها بذلك .  
فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق فمروا بباب الأمير المسمى  
بالفيل وتمادى الأب والأم وتركاهما ولم يشعرا بوقوفها ، فبقيت البنت  
حائرة لا تدري أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الأمير المسمى  
بالفيل . فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ، ثم أمر الحواري أن  
يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ويطيننها بأنواع الطيب ويحلينها  
له ففعلن ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها . هذا والداهما قد حزنا عليها  
ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن ، فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا  
يكيان . فلما جن الليل وإذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح الباب  
فقال الرجل لأبيها : إن الأمير المسمى بالفيل أخذ ابتك وأزال بكارتها ،  
فلما سمع ذلك كاد يحن وكان لأحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده  
على أنه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره  
ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبى البنت صداقة ، فجاء إليه  
وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون فأرسل خلفه فأخبره  
بالقضية فاستدعى بأبوى البنت وخبأهما فى خزانة وكان وقت مجيء الفيل  
للخدمة . فلما دخل على عادته قال له : نهنيك بالعروس الجديدة فقال له :  
ومن أين لى عروس جديدة ؟ قال : أتكر منى وهذا أبو الجارية وأمها  
وأخرجهما إليه . فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الأمراء الحاضرين فقال  
له أحمد بن طولون : ارفع رأسك ثم قال لأبيها : تزوج ابتك مملوكى هذا

على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة ؟ فقال : نعم  
فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ، ثم بعد  
انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه  
وقال أحمد بن طولون لأبى الجارية : ابتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما  
بقى من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على  
أفعاله . فانظر إلى هذا العدل العظيم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

### [٢٣١] ومما نقل عن بعضهم :

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| توق رعاك الله تسعا من البشر | فصحتهم تفضى إلى البؤس والضرر  |
| وهم أحول مع أعرج ثم أحذب    | كذا كسوج يتلو نشاطا مع الكدر  |
| وإياك والأنف الطويل وأصفرا  | فإنهما بيت الخيانة والخطر     |
| كذا غائر الصدغين خارج جبهة  | كذا أزرق العينين فالخذر الحذر |
| توقاهم تحيا سليما من الردى  | وباعدهم يإذا الفراسة والنظر   |

### [٢٣٢] مناظرة بين إبليس اللعين وبين الملائكة المقربين :

بعد الأمر بالسجود والامتناع منه لمحض العناد والجحود قال لما نقل عنه  
فيما ذكر أنه قال للملائكة : أى البارى تعالى إلهى وإله الخلق قادر عالم إذا  
أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إلا أن يترجه على مساق حكمه أسئلة  
فقال الملائكة : ما هى ؟ قال سبع . الأول : قد علم قبل خلقى ما يصدر  
عنى ويحصل منى فلم خلقتى وما الحكمة فى خلقه إياى . الثانى : أنه خلقتى  
على مقتضى مشيئته وإرادته فلم كلفنى بمعرفته وإطاعته بعد أن لا ينتفع

بطاعة ولا بتضرر بمعصية فإنه الغنى القادر على الإطلاق . الثالث : إنه خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه وأطعته فلم آمرنى بالسجود لأدم وأنا خير منه لأننى من نار السموم وهو أعلى منزلة من الطين . الرابع : أنه خلقنى وأمرنى بالسجود فالتزمت تكاليفه فلم قضى على بالشقاء وحكم على بالبقاء . الخامس : قد آمرنى بالسجود لأدم وهو مخلوق مثلى خرج من الجنة كما خرجت فاستكففت أن أسجد لمن هو مثلى . السادس : ليس فى أزقة السماء وجهها محل الأولى فيه ركعات وسجودات يشهد بها . السابعة : كيف يأمرنى بالسجود لبشر خلقه وأنا أفضل منه لأنه خلقنى من نار السموم وهى أنفع وأشرف من الطين لكثرة نفعها . أه .

ذلك بحروفه والله أعلم فسبحان من حكم بالشقاء على من يشاء من عبادة والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين .

كمل الكتاب تكاملت جمل السرور لصاحبه وعفى الإله بفضله وجوده عن كاتبه .

مَشَتْ